لقد خلّف لنا تراثنا النقدي ركاماً هائلا تحت اسم (الخطأ) النَّحْوي أحياناً ، وتحت اسم (الضرورة) أحياناً أخرى ، وعلى هذا فالمصطلح كان فضفاضاً – على الرغم من موضوعيته – يتأرجح بين المنع والإجازة ، وإن كانت النظرة المدقّقة يمكن أن تبيِّن أن ما ورد تحت هذين المصطلحين يمكن أن يصوِّر لنا على نحو من الأنحاء ما يمكن تسميته (لغة الشعر) .

وقد أضاف البعض إلى هذه اللغة (الكلام المسجع) باعتبار تقبّله لبعض ظواهر الضرورة ، وقد أسماها ابن عصفور (ضرورة النظم) ، واستدل على ذلك بقولهم :(شهر ثرى وشهر ترى وشهر مرعى) فحذفوا التنوين من (ثرى) ومن (مرعى) . [1]

ولا شك في أن ظاهرة المصطلَحات المتنوِّعة داخل الإطار الدلالي المفرَد استمدت ركائزها من (الوثائق) المتراكِمة في المؤلَّفات النقدية والبلاغية عن الشعر والنثر ، وبهذا كان رصد هذه المصطلحات ، أو هذه الخواص بمثابة التعرُّف الأوَّلي على المكوِّنات الأساسية للبناء الفني اللُّغوي ، وهذا بدوره يكون أكبر معوان على التفهُّم ثم التحليل . وليس من همِّنا أن ندقِّق الأمر في مسألة القُبْح والحُسْن إلا بالقدر الذي يساعد على استكشاف الجوانب المشروعة أو غير المشروعة ، من خلال وصف النماذج الأدبية الراقية ، وبهذا يمكن اعتبارُ دراسة الكلمة المفرَدة نوعاً من النشاط النقدي ، يمكن الإفادة منه في الفهم المتكامِل للعمل الأدبي ، ومن ثمَّ تتاح عملية التحليل والرصد ، ومن هنا يكون محتَّماً أو ضروريا الاعتمادُ على منهج تطبيقي يحتوي في

(١) ابن عصفور : ضرائر الشعر ، تحقيق السيد إبراهيم محمد . ط ٢ بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٨٢. ص ١٢ ، ١٣ .